

تفسير البحر المحيط

@ 643 @ عباد الأوثان ، والأولى القول الأول . ورجح كونهم أهل الكتاب بقوله : يحبونهم ،
فأتى بضمير العقلاء ، وباستبعاد محبة الأصنام ، وبقوله : { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّابَعُوا } ، والتبرؤ لا يناسب إلا العقلاء . ومن : مبتدأ
موصول ، أو نكرة موصوفة ، وأفرد يتخذ حملاً على لفظ من ، ومن دون [متعلق بيتخذ ، ودون
هنا بمعنى غير ، وأصلها أن يكون ظرف مكان ، وهي نادرة التصرف إذ ذاك . قال ابن عطية :
ومن دون : لفظ يعطي غيبة ما يضاف إليه دون عن القضية التي فيها الكلام ، وتفسير دون
بسوى ، أو بغير ، لا يطرد . انتهى . تقول : فعلت هذا من دونك ، أي وأنت غائب . وتقول :
اتخذت منك صديقاً ، واتخذت من دونك صديقاً . فالذي يفهم من هذا أنه اتخذ من شخص غيره
صديقاً . وتقول : قام القوم دون زيد . فالذي يفهم من هذا : أن المعنى أن زيدا لم يقم
، فدلالته دلالة غير في هذا . والذي ذكر النحويون ، هو ما ذكرت لك من كونها تكون ظرف
مكان ، وأنها قليلة التصرف نادرته . وقد حكى سيبويه أيضاً أنها تكون بمعنى رديء ، تقول
: هذا ثوب دون أي رديء ، فإذا كانت ظرفاً ، دلت على انحطاط المكان ، فتقول : قعد زيد
دونك ، فالمعنى : قعد زيد مكاناً دون مكانك ، أي منحطاً عن مكانك . وكذلك إذا أردت
بدون الطرفية المجازية تقول : زيد دون عمرو في الشرف ، تريد المكانة لا المكان . ووجه
استعمالها بمعنى غير انتقالها عن الطرفية فيه خفاء ، ونحن نوضحه فنقول : إذا قلت :
اتخذت من دونك صديقاً ، فأصله : اتخذت من جهة ومكان دون جهتك ومكانك صديقاً ، فهو ظرف
مجازي . وإذا كان المكان المتخذ منه الصديق مكانك وجهتك منحة عنه وهي دونه ، لزم أن
يكون غيراً ، لأنه ليس إياه ، ثم حذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه مع كونه غيراً ،
فصارت دلالته دلالة غير بهذا الترتيب ، لا أنه موضوع في أصل اللغة لذلك . وانتصب أنداداً
هنا على المفعول بيتخذ ، وهي هنا متعدية إلى واحد ، نحو قولك : اتخذت منك صديقاً ، وهي
افتعل من الأخذ ، وقد تقدم الكلام على الند وعلى اتخذ ، فأغنى عن إعادته . قال ابن عباس
والسّدي : الأنداد : الرؤساء المتبعون ، يطيعونهم في معاصي الله تعالى . وقال مجاهد
وقتادة : الأنداد : الأوثان ، وجاء الضمير في يحبونهم ضمير من يعقل . وقد تقدّم لنا أن
الأولى أن تكون الأنداد : المجموع من الأوثان والرؤساء ، وتكون الآية عامة . وجاء التغليب
لمن يعقل في الضمير في : { يُحْيِيْهِمْ وَيُمِيتُهُمْ } ، أي يعظمونهم ويخضعون لهم . والجملة من
يحبونهم صفة للأنداد ، أو حال من الضمير المستكن في يتخذ ، ويجوز أن تكون صفة لمن ، إذا
جعلتها نكرة موصوفة . وجاز ذلك ، لأن في يحبونهم ضمير أنداد ، أو ضمير من ، وأعاد

الضمير على من جمعاً على المعنى ، إذ قد تقدم الجمل على اللفظ في يتخذ ، إذ أفرد
الضمير ، وقد وقع الفصل بين الجملتين ، وهو شرط على مذهب الكوفيين . .
{ كَحُبِّ اللَّاحَةِ } ، الكاف في موضع نصب ، إما على الحال من ضمير الحب المحذوف ،
على رأي سيبويه ، أو على أنه نعت لمصدر محذوف ، على رأي جمهور المعربين ، التقدير : على
الأول يحبونهموه ، أي الحب مشبهاً حب الأ ، وعلى الثاني تقديره : حباً مثل حب الأ ،
والمصدر مضاف للمفعول المنصوب ، والفاعل محذوف ، التقدير : كحبهم الأ ، أو كحب المؤمنين
أ ، والمعنى أنهم سووا بين الحبين ، حب الأنداد وحب الأ . وقال ابن عطية : حب : مصدر
مضاف إلى المفعول في اللفظ ، وهو على التقدير مضاف إلى الفاعل المضمر ، تقديره : كحبكم
أ ، أو كحبهم ، حسبما قدر كل وجه منهما فرقة . انتهى كلامه . فقوله : مضاف إلى الفاعل
المضمر ، لا يعني أن المصدر أضمر فيه الفاعل ، وإنما سماه مضمرأ لما قدره كحبكم أو
كحبهم ، فأبرزه مضمرأ حين أظهر تقديره ، أو يعني بالمضمر المحذوف ، وهو موجود في
اصطلاح النحويين ، أعني أن يسمى الحذف إضمارأ . وإنما قلت ذلك ، لأن من النحويين من زعم
أن الفاعل مع المصدر لا يحذف ، وإنما يكون مضمرأ في المصدر . ورد ذلك بأن المصدر هو
اسم جنس ، كالزيت والقمح ، وأسماء الأجناس لا يضر فيه . وقال الزمخشري : كحب الأ :
كتعظيم الأ والخضوع له ، أي كما يحب الأ ، على أنه مصدر